المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 17 العدد 01 السنة 2021 ص ص 309-328
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

ثورة المقراني بمجانة في الشرق الجزائري سنة 1871م: ثورة للمال أم للمآل.

The revolution of El Mokrani in Medjana in the eastern part of Algeria in 1871: Revolution of money or of fate.

طالب دكتوراه: محمدي محمد [1]
[1] جامعة محمد بوضياف، المسيلة

تاريخ الاستلام: 06 / 08/ 2018 تاريخ القبول: 29 /05/ 2019

Abstract:

Believing in the great distortion and obscurity that has plagued the Algerian history through all its stages, since the appearance of the Algerian state and until its independence from the French colonization on July 5, 1962, the historical colonial school tried all its material and moral means to obliterate and to eradicate the history and the identity of the Algerian people through the deliberate distortion campaigns of its most historic stations and heroic landmarks.

Besides, we find that some theorist of this school went even further, in order to enable the French thesis aimed at the political disappearance of the Algerian state through its various

المؤلف المرسل: محمدي محمد.
البريد الالكتروني: Mohamedbba1902@gmail.com

المجلة المغاربية للمخطوطات

stages and phases, and to consider that as a "bridge and passage of the great colonial countries" attacking this country, from the era of the Phoenicians and Romans, through the Vandals and the Byzantines to the Arabs and the French.

There is no doubt that the most important stages that were exposed to the arrows of distortion in the course of the Algerian history is the period that followed immediately the occupation process, known to the Algerian people as the Algerian armed resistance phase. The El Mokrani family revolution is one of the main models and stations of this Algerian armed resistance phase, which was targeted by historical looting by the French historical school more than others revolutions. The French wrote about this revolution the following:

It was a revolution in order to restore the social and economic status lost by the El Mokrani family, after the famine that hit the people and caused the death of many of them either from illness or starvation.

The French historical school tried at the same time to blur the real principles of this revolution and its future objectives in gaining freedom and liberation from the colonial oppression, and to hide the real religious dimensions, which was considered the head of this revolution, especially after the French government decision known as the law "Crémieux" for the naturalization of the Jews.

This study will examine the real causes of this revolution and its future dimensions in the restitution of money or of fate.

Keywords:

Resistance of El Mokrani, French colonialism, economic motives, religious dimensions.

ملخص:

إيماناً منا بعظم التشويه والتعتيم الذي طال التاريخ الجزائري عبر كافة مراحله، فمنذ ظهور الدولة الجزائرية والى غاية استقلالها من ربقة الإستعمار

المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 17 العدد 01 السنة 2021 ص ص 309-328
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

الفرنسي في الخامس جويلية1962م، حاولت المدرسة التاريخية الإستعمارية بكل إمكاناتها ووسائلها المادية والمعنوية، طمس تاريخ الشعب الجزائري وهويته الحضارية، من خلال حملات التشويه المبرمج لأهم محطاته التاريخية ومعالمه البطولية، بل إننا لنجد أن من منظري هذه المدرسة، من ذهب الى أبعد من ذلك، سعياً منهم في التمكين للأطروحة الفرنسية الرامية الى التغييب السياسي للدولة الجزائرية عبر مختلف مراحلها وأطوارها، واعتبار هذه الأخيرة مجرد"جسر ومَعبَر للدول الإستعمارية الكبرى" الغازية لهذه البلاد، بداية من عهد الفينيقين والرومان ومروراً بالوندال والبيزطيين ووصولاً الى العرب والفرنسيين.

ولاشك أن أهم المراحل التي كانت عرضة لسهام التحريف في مسيرة التاريخ الجزائري، هي الفترة التي أعقبت عملية الإحتلال مباشرةً، أو ما يعرف عندنا نحن الجزائريين بمرحلة المقاومة الشعبية الجزائرية المسلحة، والتي تعد ثورة عائلة المقراني أحد أهم محطاتها ونماذجها الرئيسية، وهي التي استهدفتها رماحالتزوير التاريخي من قبل المدرسة التاريخية الفرنسية أكثر من غيرها، إنها الثورة التي كتب عنها الفرنسيون، وقالوا: أنها كانت ثورة من أجل إسترداد المكانة الإجتماعية والإقتصادية التي خسرتها عائلة المقراني، عقب المجاعة التي أصابت الأهالي وكانت سبباً في هلاك الكثير منهم إما مرضاً أوجوعاً، كما حاولت في الوقت ذاته طمس المبادئ الحقيقية لهذه الثورة وأهدافها المستقبلية في نيل الحرية والإنعتاق من ظل العبودية الإستعمارية، والتغطية على الأبعاد الدينية الحقيقية التي اعتبرت رأس سنام هذه الثورة، سيما بعد القرار الحكومي الفرنسي المعروف ب"قانون كريميو" لتجنيس اليهود، بين هذا وذاك ستعالج هذه الدراسة الأسباب الحقيقية لهذه الثورة؟ وأبعادها المستقبلية في إسترداد المال أم استرجاع المآل.

المجلة المغاربية للمخطوطات

الكلمات المفتاحية:
مقاومة المقراني، الإستعمار الفرنسي، الدوافع الإقتصادية، الأبعاد الدينية.

مقدمة:

شهدت الجزائر في القرن التاسع عشر العديد من المقاومات الشعبية المسلحة، التي كانت تهدف في مجملهالرد العدوان الإستعماري الفرنسي على أرض الجزائر، وبالرغم من كون الهدف المسطر من قبل هذه المقاومات الشعبية مشتركاً وموحدا ممثلاً في نيل الحرية والإستقلال ، إلا أننا نجد أن هذه المقاومات قد تميز بعضها عن البعض الآخر بجملة من الخصائص والصفات، التي خصت بها كل مقاومة من هذه المقاومات عن باقي المقاومات الأخرى، فإذا تميزت مقاومة الحاج أحمد باي بالإستماتة في الدفاع عن مدينة قسنطينة بالرغم من أصوله الكرغلية، وإتسمت مقاومة المجاهدة لالة فاطمة نسومر في بلاد القبائل بالشجاعة والصمود، في وجه أقوى الضباط الفرنسيين بالرغم من أنوثتها وقلة قوتها في العدة والعدد، وأخذت مقاومة الأمير عبد القادر ميزة الشمولية وطول فترة الكفاح ضد الإستدمار الفرنسي. فإن ما حاولت الدعاية الإستعمارية التمكين له كميزة للثورة التي عرفتها منطقة الهضاب العليا بالشرق الجزائري، وتواترته أقلام المدرسة التاريخية الفرنسية، وحتى بعض الأقلام الجزائرية غير المدركة لخطورة مساعي هذه الأقلام الغربية، حول أسباب ودواعي ثورة عائلة المقراني1871 في منطقة مجانة ببرج بوعريريج، أنها كانت ثورة ذات أبعاد اقتصادية قامت لرد الإعتبار لعائلة المقراني البرجوازية، سعيا منها الى استرداد الأموال التي ضاعت منها بين جشع المقرضين اليهود ومساعدة الأهالي الجزائريين بعد النكبات التي حلت بهم. في حين هناك من الوطنيين الواعين من كان مدركا لمسعى الأقلام الفرنسية المؤدلجة، معتبرا هذه الثورة كباقي الثورات الجزائرية التي اندلعت ضد الإستعمار

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

الفرنسي، بهدف القضاء على كل أشكال الإستعمار والسعي في إرساء الحرية في البلاد كحق أساسي للجزائريين.

وفي ظل اللبس الحاصل حول أسباب وأهداف ثورة آل المقراني في مجانة ببرج بوعريريج 1871، بين من ينسبها لأسباب اقتصادية ومن يصنفها ذات أبعاد ومرامي دينية وعقائدية، استهدفت هذه الدراسة تجلية اللبس الحاصل حول هذه الثورة، والبحث عن الأدلة والبراهين التاريخية التي تثبت أسباب قيام الثورة، وهذا ما سيتم معالجة حيثياته عبر العناصر الآتية الذكر:

1- التعريف بعائلة المقراني؟

2-مكانة هذه العائلة على العهد العثماني؟

3-الإحتلال الفرنسي للجزائر وموقف عائلة المقراني؟

4-العامل الإقتصادي وحضوره في ثورة المقراني بين السياق والدافعية؟

5-تجليات البعد الديني في ثورة المقراني؟

6-خاتمة.

1-التعريف بعائلة المقراني:

تجمع أغلب الكتابات التاريخية بأن أصول عائلة المقراني تعود الى السيدة فاطمة ابنة الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث تنسب الى قبائل عياض، الذين هاجروا من المشرق الى المغرب في حدود القرن 11م، وذلك تزامناً مع الهجرات الهلالية الوافدة الى المغرب العربي من المشرق، أين اختاروا من جبال قلعة بني حماد بالمعاضيد مستقراً لهم(1) هذه الأخيرة الواقعة شمال مدينة المسيلة وجنوب شرق برج بوعريريج(2)، وقد ارتبط تاريخهم ارتباطا وثيقاً بالأمراء الحماديين، مما أدى الى استقرارهم في قلعة بني حماد دون سواها من المناطق الأخرى، إلا أن مقتل شيخ العائلة وكبيرها "الشيخ ناصر" من قبل سكان القلعة، كان سببا

المجلة المغاربية للمخطوطات

مباشرا في رحيل المقرانيين منها بعد ثمانين سنة من الإقامة بها(3)، لتنتقل العائلة بعد ذلك نحو الشمال متخذةً من قلعة بني عباس شمال غرب سهل مجانة موطنها الثاني بعد قلعة بني حماد(4).

وقد أشار المؤرخون أن هذه العائلة قد تطورت بشكل ملفت للإنتباه، إذ أنها تمكنت من إحكام السيطرة والنفوذ على كثير المناطق في البلاد في وقت قصير نسبياً، وهذا ما ذكره الورتلاني قائلا:" **لقد كان لهذه العائلة القيادة الفعلية، على مساحة واسعة من أراضي الجزائر، فقد شارفت على الحدود التونسية من جهة الشرق، وإقليم ميزاب والأغواط من جهة الجنوب"**، وهذا ما أكده الضابط الفرنسي "فيرو feraud " الذي استنتج من خلال أبحاثه حول العائلة خاصة في فترة العهد العثماني، أنها كانت بمثابة الدولة الموازية أو الدولة القائمة بحد ذاتها، داخل إيالة الجزائر خلال هذه الفترة السالفة الذكر (1515-1830)(5)، وهو نفس الطرح الذي ذهب إليه "صالح عباد" تبياناً لمكانة المقرانيين في هذه الفترة، وموضحا العلاقة التي تربطهم مع الأتراك والتي بين أنها تراوحت بين التحالف والعداء، كما بين في الوقت ذاته أن مصطلح المقرانيين يعود الى هذه الفترة أي العثمانية وتحديدا الى إمارة بني عباس التي كانت في نزاع مع الأتراك حول مناطق النفوذ والسلطة، حيث مثل الإمارة فيها الأمير عبد العزيز وبعد مقتله سنة 1559 في نزاع مع الأتراك، تولى أخوه أمقران الإمارة من بعده، وعقد صلحاً مع الأتراك وهو من نسبة إليه العائلة من بعد ذلك(6).

2-عائلةالمقراني في العهد العثماني:

لقد أثبتت لنا الكتابات التاريخية المتواترة، أن عائلة المقراني كان لها نفوذ كبير في فترة الوجود العثماني بالجزائر، خاصة في ظل المؤهلات الجغرافية للمنطقة، والتي أهلتها لأن تكون قوة محلية يحسب لها ألف حساب من طرف الحكام الأتراك العثمانيين، فعائلة المقراني كانت قوة محلية مسيطرة على أهم الطرق المواصلاتية في مناطق الوسط الجزائري، لاسيما في الجهة الشرقية للبلاد،

خاصة في الطريق الرابط بين بايلك الشرق قسنطينة ودار السلطان بالجزائر العاصمة، وبالتحديد في الممر الهام بالمنطقة المعروف بإسم "أبواب الحديد".

وقد أورد لنا الرحالة الفرنسي "باسيونال payssonnel" شهادته حول أهمية معبر البيبان وقوة نفوذ عائلة المقراني في هذه الفترة، حيث ذكر أنه وفي إحدى خرجاته مع إحدى الحاميات العسكرية التركية في مهمة رسمية للسلطات العثمانية سنة 1725، أن هذه الحامية قد نكست أعلامها وأوقفت نشيدها إلتزاماً منها في ذلك بتعليمات أعيان العائلة، وهذا ما أكده لنا الطبيب الإنجليزي "شو shaw" الذي زار الجزائر في القرن18، وعايش هذه العائلة عن قرب وأوضح أن هذه الأخيرة، كان بإمكانها تجهيز جيش قوي مؤلف من 3000 جندياً و1500 فارس في ظرف وجيز(7).

كما بين لنا المؤرخ "صالح عباد" سر هذه القوة التي لعائلة المقراني، ناسباً إياها الى سلسلة التحالفات، التي عقدها أعيان العائلة مع الأتراك العثمانيين، وذلك من أجل القضاء على شوكة بعض القبائل المناوئة للطرفين مثل مملكة كوكو في جبال جرجرة، إلا أن المناوشات التي ما فتئت تطرأ بين الطرفين كانت سببا مباشراً في تأزم العلاقة بينهما، والتي غالبا ما تعلقت في جزء كبير منها بتقسيم الغنائم أو تحصيل الضرائب، أو في أحيان كثيرة حول تبعية بعض المناطق لطرف على حساب الآخر، خاصة ما تعلق بمنطقتي المسيلة وبوسعادة، اللتين كانتا في مد وجزر بين القوتين المتنازعتين(8).

وفي ظل هذه العلاقة القائمة على العداء المستفحل مع العثمانيين، أخذ داء التشتت والسعي الى مسك زمام الحل والعقد في قرار العائلة ينخر جسد المقرانيين، فحسب ما ذكر "شارل فيرو" أن العائلة قد انقسمت في القرن18 الى صفين، قسم بقيادة الشيخ بوزيد المقراني ويتولى زمام السلطة بمجانة، ويعترف

المجلة المغاربية للمخطوطات

في الوقت ذاته للأتراك العثمانيين بالحكم والسيادة، وقسم ثان بقيادة كل من الشيخين بورنان وقندوز، وهما من الفئة التي تمردت وأعلنت عصيانها للسلطة التركية الحاكمة، كما ذهبت هذه الفئة الى ما هو أبعد من ذلك، إذ منعت الأتراك العثمانيين، من المرور عبر مضيق البيبان دون دفع الرسوم مثلها مثل باقي القوافل التجارية الأخرى(9).

في حين ذكرت رواية أخرى أن العائلة كانت منقسمة الى ثلاثة فرق متناحرة من أجل قيادة المنطقة، فرقة أولاد الحاج وأولاد عبد السلام وهو الصف الرئيسي في عائلة المقراني، وفرقة أولاد بورنان، وفرقة أخرى هي فرقة أولاد قندوز وسعياً الى إعادة المياه الى مجاريها في العائلة والقضاء على المناوشات العائلية لقيادة المنطقة، فقد دأب الحاج أحمد باي على تقديم الدعم لأولاد الحاج وأولاد عبد السلام للتخلص من هذين الفرقتين، اللتان أضحتا مصدر إزعاج وتهديد لإستقرار العائلة ومكانتها في الوسط الجزائري(10).

وعليه فإننا نجد أن العلاقة القائمة بين عائلة المقراني والأتراك العثمانيين، قد تباينت بين التحالف والعداء تبعاً للمصالح التجارية والإستراتيجية بين الطرفين، خاصة ما تعلق منها برسوم المرور عبر ممر أبواب الحديد أو تبعية بعض المناطق لهذا الطرف أو ذاك، إلا أن النزاع القائم بين أبناء العمومة من المقرانيين حول قيادة المنطقة، كان سببا في حدوث العديد من المناوشات التي استغلها الأتراك للقضاء على بعض الأطراف وتقريب بعضها الآخر وفقاً لما تمليه مصالح الإيالة، ولنا في موقف الشيخ أحمد باي مع فرق هذه العائلة أحسن دليل على ذلك.

3- عائلة المقراني والإحتلال الفرنسي للجزائر:

منذ أن تمكن الفرنسيون من ولوج العاصمة الجزائرية في 05 جويلية 1830، والقضاء على أولى المقاومات الشعبية التي صادفتهم فيها(11)، أضحى كل تفكير لهم منصب حول سبل الإقتصاد في حربهم ضد الجزائريين، بعدما وقفوا

المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 17 العدد 01 السنة 2021 ص ص 309-328
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

على حقيقة ضعف قوة الجيش الجزائري وتهلهل قيادته، وعليه فقد سعت السلطات الفرنسية الى أساليب أكثر دهاءً وأقل تكلفة. فكان خيار إستمالة العائلات والأسر الكبيرة في المجتمع الجزائري، الوسيلة الأنجع لفرض سيطرتها على البلاد وأهاليها، فقربت إليها الكثير من الأسر الجزائرية النافذة في المجتمع، مثل أسرة أولاد سيدي الشيخ في جنوب وهران، وأسرة المقراني في مجانة وأسرة بن قانة في بسكرة والزيبان، وأسرة بوعكاز بن عاشور وأولاد بن عز الدين في فرجيوة، والزواغة في بابور وأسرة أوقاسي في تيزي وزو وأسرة أولاد محي الدين بدلس...، كما منحت شيوخ هذه العائلات ألقابا مختلفة ميزتهم عن عامة الناس كلقب "**الخليفة**" و"**شيخ العرب**" وغيرها من الألقاب الأخرى، التي من خلالها يمكن لهؤلاء من الحصول على امتيازات لم يحظى بها غيرهم في مجالات الإدارة والإقتصاد والمجتمع(12).

وهو نفس الرأي الذي توصل إليه الدكتور"**كمال بيرم**"(13) الذي ذكر بأن السلطات الإستعمارية ، قد حافظت الى حد بعيد على التركيبة القبلية للمجتمع الجزائري في بداية الفترة الإحتلالية، من خلال إسنادها مهمة القيادة للعائلات النافذة مثل قيادة منطقة مجانة للشيخ المقراني وعائلته، وقيادة شيخ العرب لآل بن قانة ومن بعده فرحات بن سعيد(14)، غير أن لعائلة المقراني بعض الخصوصية في هذه العلاقة مع الفرنسيين، فالشيخ أحمد المقراني كان من الموالين والفاعلين في مقاومة الإستعمار سواء عند بدايات الحملة أو الى جانب قوات الحاج أحمد باي في الشرق الجزائري، غير أن سقوط مدينة قسنطينة على يد الفرنسيين في 13 اكتوبر 1837 ، كان سبباً وجيها لتوجه الشيخ أحمد المقراني نحو الأمير عبد القادر للإنضمام طواعيةً في صفوف مقاومته.

المجلة المغاربية للمخطوطات

هذا الأخير الذي صد الشيخ أحمد المقراني في طلبه، وعين بدلاً عنه محمد عبد السلام خليفة على منطقة مجانة بحكم موالاة الشيخ أحمد المقراني لخصم الأمير عبد القادر ممثلا في شخص أحمد باي، وهذا ما أحدث غيظاً كبيرا لدى الشيخ أحمد وكان سبباً مباشرا في استجابته لنداء الماريشال فالي، الذي قربه من السلطات الفرنسية ومنحه لقب "خليفة "على منطقة مجانة، حيث نصبه الماريشال فالي رسميا في منصبه في 24 اكتوبر1838 (15)في قصر الباي أحمد بمدينة قسنطينة، وفقا لما جاء في المرسوم المؤرخ في 30 سبتمبر 1838 والذي نص على جملة من الشروط منها:

أ-المرسوم السابق الذكر عبارة عن مرحلة جديدة في العلاقات الفرنسية مع العائلات القسنطينية الكبرى في المجتمع، وذات النفوذ الواسع في المنطقة.

ب-نص المرسوم على دفع الخليفة مقدار ثلث الضريبة المحصل عليها لصالح السلطات الفرنسية.

ج-يحكم الخليفة منطقته بنفس الشروط والأوضاع التي كانت لعائلته في فترة الأتراك العثمانيين، على أن يكون اتصاله دائماً ومباشرا مع السلطات الفرنسية في المقاطعة(16).

ومما سبق يتضح أن عائلة المقراني وكغيرها من العائلات الجزائرية ذات النفوذ في المجتمع الجزائري، راحت ضحية لسياسة استعمارية جهنمية، حاولت من خلالها السلطات الإستعمارية القضاء على وحدة وتماسك المجتمع وضربه في صميم تركيبته الإجتماعية، والسعي الى تفكيك وحدته القبلية واستحداث فئة تسعى للحفاظ على ممتلكاتها ومكتسباتها التي كانت لها على العهد العثماني، كما للنزعة القبلية والأحقاد البينية بين زعماء المقاومة الوطنية، يداً طولى في وقوع العديد من الوطنيين الجزائريين ضحايا في شباك السلطات الإستعمارية.

المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 17 العدد 01 السنة 2021 ص ص 309-328
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

4- العامل الإقتصادي وحضوره في ثورة المقراني بين السياق والدافعية:

إن الباحث في أطوار وحيثيات ثورة عائلة المقراني سنة 1871، ليقف عند حقيقة تاريخية مفادها ذلك الحضور السياقي للعامل الإقتصادي في هذه الثورة، ولعل هذا ما كان حجة صريحة للأقلام الفرنسية المتربصة للخوض فيه وتزوير حقائقه، وفقا لما يتماشى وأهداف هذه المدرسة الإستعمارية الفرنسية، إلا أن الشيء المختلف فيه بين الباحثين اليوم؟ يكمن في طبيعة هذا الحضور للبعد الإقتصادي؟ أهو حضور غاياتي مفصلي في هذه الثورة؟ أم أن الحضور كان سياقيا عرضيا في إطار تلاطم الأحداث وسيرورتها التاريخية؟ وانطلاقا من هذا التساؤل سنحاول الإجابة على هذه الجدلية من خلال جملة من النقاط الآتية الذكر:

أ- الوضع الإقتصادي المتدهور الذي آلت إليه الجزائر في السنوات 1865-1870، بفعل سنوات الجفاف المتعاقبة على البلاد، وهجمات الجراد التي أتت على الأخضر واليابس، مما أدى الى إنتشار الجوع والفقر والأمراض بين الجزائريين، ففي هذه السنوات إنتشرت أخطر الأمراض وأشدها فتكاً بالإنسان كالكوليرا والتيفوئيد، التيفوس...، مما أدى الى هلاك عشرات الآلاف من الجزائريين. إضافة الى الزلزال الخطير الذي عرفته بعض القرى الجزائرية كالبليدة ومتيجة مع مطلع 1867(17).

ب- حملات التهجير الواسعة التي شنتها السلطات الإستعمارية للأوربيين نحو الجزائر، وتمليك هؤلاء المهجرين الجدد أحسن الأراضي وأجود الأملاك التي كانت ملكاً للجزائريين بعد سلبها منهم، عن طريق المصادرة أو الشراء بأبخس الأثمان حتى لا تأخذ منهم دون مقابل(18).

المجلة المغاربية للمخطوطات

ت- سياسة الحاكم العام المدني "راندون" في الجزائر(1852-1858) ، والقائمة على التوسع بالقوة نحو بلاد القبائل و مناطق بابور بصفة خاصة، حيث انتهج من سياسة مواطنه السابق الجنرال بيجو نهجا له، بإتباع أسلوب الأرض المحروقة التي تقوم على التجويع والحرق والتخريب للمتلكات الزراعية والفلاحية للجزائريين، وتشجيع عمليات الهجرة للمستوطنين الأوربيين نحو الجزائر والسعي لاستقرارهم بها(19).

ث- الأزمة المالية التي مرت بها عائلة المقراني من جراء الظروف الطبيعية القاسية، والديون العالقة على المقرانيين بعد القروض الربحية التي اقترضها من التجار اليهود وبنك الجزائر، من أجل مساعدة الفلاحين والمحتاجين من الأهالي الجزائريين، مما أدى الى إرتفاع الأرباح ضد هذه العائلة وعجزها عن سداد ديونها، لترفع ضده الشكاوى واضطر لبيع كل أملاكه لتسديد الديون.

ج- الضرائب المجحفة التي كانت السلطات الإستعمارية تفرضها على الأهالي الجزائريين، وذلك رغم الحاجة والفقر الذي كان يعيشه السكان الجزائريون في هذه الفترة، من سنوات الجفاف والقحط الذي عاشته البلاد في هذه السنوات، حيث كان أحمد المقراني المكلف بإستخلاص هذه الضرائب مما جعله يقف على الظلم والجور الذي يمارس ضد بني وطنه، وقد بلغت الضرائب في هذه الفترات أرقاماً كبيرة، حسبما هو موضح في الشكل الآتي:(20)

وبالإستناد الى الظروف السابقة الذكر، فإنه يمكننا أن نستخلص مايلي:

1. الممارسات الإستعمارية التي انتهجتها السلطات الإستعمارية، تدخل في إطار المشروع الإستعماري القائم على تجريد الجزائريين من أملاكهم، وتحويلها بطرق شرعية وغير شرعية نحو الملاك الجدد من المستوطنين الأوربيين لضمان إستقرارهم في مستعمرة الجزائر، والملاحظ أن هذه السياسة كانت شاملة تجاه كل المقاومات والإنتفاضات التي عرفتها الجزائر، في بداية المرحلة الإستعمارية ولم

المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 17 العدد 01 السنة 2021 ص ص 309-328
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

تقتصر على مقاومة دون أخرى، وهذا ما ينفي علاقة سببية هذا العامل بإندلاع ثورة المقراني، غير أن إدراجه ضمن السياق العام للثورات الشعبية التي عرفتها الجزائر في هذه المرحلة أمر وارد.

2. الظروف الطبيعية القاسية التي عاشتها البلاد في الفترة الممتدة 1865-1870، لم تكن سبباً مباشرا في هذه الثورة بقدر التأثير السلبي الذي شكلته الضرائب المجحفة في حق الجزائريين والجزائريات، مما أدى الى تفشي النكبات في الأوساط الجزائرية الذي أضحها أهلها في تناقص مستمر، في الوقت الذي كان الأوربيون في تزايد مستمر، وفي ظل هذه الأوضاع الصعبة استغل اليهود ظرفة المجاعة السائدة في البلاد 1868-1869، لزيادة أرباحهم عن طريق القروض المقدمة للأهالي الجزائريين بفوائد ربوية خيالية، الأمر الذي أدى الى فقدان الجزائريين كل ممتلكاتهم بطريقة تدريجية(21).

وبذلك فإننا نستنتج أن العامل الإقتصادي في ثورة المقراني، كان ظرفاً سياقياً متزامناً مع الأحداث السياسية والعسكرية التي عرفتها البلاد في هذه الفترة، من احتلال عسكري استيطاني للبلاد، ليتحول بعد ذلك الى الحكم المدني الذي ساهم في تهميش الأهالي الجزائريين أكثر مما كانوا عليه في زمن الحكم العسكري، كما فتح الآفاق أمام المستوطنين الأوربيين الوافدين بالتمكين لهم في هذه البلاد الجديدة، وبذلك فإن العامل الإقتصادي هنا لم يكن الدافع الأساسي الذي حرك الجماهير الشعبية الجزائرية، بقدر ما حركها البعد التحرري والديني الذي كان العامل الأساس في إعلان الثورة من قبل عائلة المقراني، ضد الحكومة الإستعمارية التي أضحت تهمش المسلمين وتزدري عقيدتهم، وتقرب الشتات اليهودي وتعلي من شأنهم على أرض الجزائر، سيما بعد "**مرسوم كريميو الصادر في 24 أكتوبر1870** " والقاضي بتجنيس يهود الجزائر بصفة جماعية وإجبارية.

المجلة المغاربية للمخطوطات

5-تجليات البعد الديني في ثورة المقراني:

لقد كرست لنا ثورة عائلة المقراني العديد من الأبعاد والقيم الدينية، التي حملها مشروع هذه الثورة ضمن أهدافه ومراميه المستقبلية، والتي جاء على رأسها إعادة الإعتبار للعقيدة الإسلامية، التي داس الإستعمار الفرنسي على كل معالمها وأشخاصها في ظل الجزائر المستعمرة، ولذلك فإن الأسباب الدينية تعد من أهم الأسباب التي دفعت بالمقراني الى إعلانه الجهاد ضد الفرنسيين المستعمرين دفاعا عن الأرض والعرض والعقيدة، وقد تجلى ذلك في مجموعة من الملامح نذكر منها:

أ- قرار إعلان الثورة في 16 مارس 1871، كان إرهاصا واضحا للقرار الحكومي الفرنسي المعروف ب"مرسوم كريميو" والقاضي بتجنيس يهود الجزائر، وذلك بعد الشروع في تطبيق النظام المدني الجديد مع بداية 1871، وهو مايعد إيذاناً ببداية مرحلة جديدة يكون فيها الصراع هذه المرة عقائدياً أكثر منه صراعاً عسكريا وحربياً، وهذا ما تؤكده القولة المشهورة التي خلدها التاريخ للباشاغا محمد المقراني، الذي قرر إعلان الثورة في قوله:" **إنني مستعد أن أضع رقبتي، تحت السيف ليقطع رأسي، ولكن لا أطيع أبداً أحدا من غير الجنود، ولا أقبل أن أخضع لحكومة التجار واليهود"(22)**.وفي ذلك إشارة واضحة للتأثير العقدي والديني في شخصية محمد المقراني بالقيم الإسلامية التي ترفض كل أشكال الخنوع والإذلال، وخاصة لما يتعلق الأمر بأهم جانب في كرامة الإنسان وهو عقيدته.

ب- تكريس البعد التكافلي في المجتمع، الذي أكدته مقاومة المقراني كمبدأ لها من أجل الدفاع عن الوطن وصد المعتدين عليه، مصداقا لقوله تعالى:﴿ **وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لايحب المعتدين**﴾(23)، وهذا أيضا ما ظهر جليا في المؤازرة الإجتماعية التي أبان عنها المقراني في دفع الحاجة عن أبناء وطنه، لما أصابتهم الأمراض الفتاكة من جراء المجاعة التي حلت بالبلاد

المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 17 العدد 01 السنة 2021 ص ص 309-328
ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

سنة 1868، بعد سنوات عجاف طوال وصل فيها الحال بالناس الى الموت بالمئات والآلاف، حتى أضحى الجزائريون يسقطون جماعات جماعات على حافة الطرقات نتيجة الأوبئة والمجاعات، وقد وصل الحال بالجزائريين الى درجة نبش قبور الموتى وأكل لحومهم، فما كان من المقراني الى أن يبذل كافة جهده في إنقاذ ما يمكن إنقاذه من أبناء بلده(24).

6-خاتمة:

وفي ختام هذه الدراسة نستنتج أن الحملة الدعائية التي أعلنتها المدرسة التاريخية الإستعمارية الفرنسية، ضد الدولة الجزائرية وطناً وشعباً وسيادةً، قد بدأت مهامها التشويهية ضد تاريخ وحضارة هذه البلاد وشعبها منذ زمن بعيد ، وتحديدا منذ أن وطأت أقدام الفرنسيين أرض الجزائر، وهي التي لم تنه مشروعها بالخروج من أرض الجزائر في الخامس جويلية 1962، بل إنها لا تزال تواصل مهمتها على قدم وساق حتى تتمكن من القضاء على التاريخ البطولي لهذا الشعب من على هذه البلاد، ولا أدل على ذلك من حملات التشويه التي مارستها الدعاية الإستعمارية وكرستها المدرسة التاريخية الإستعمارية، ضد المحطات والأعلام البطولية في تاريخ الجزائر خلال الفترة الإستعمارية، ومن بين ما شوهت المدرسة الفرنسية المقاومات الشعبية المسلحة، التي كتبت حولها الكثير من المغالطات والترهات التي لا تمت للواقع بصلة، في الوقت الذي ساد الجمود الثقافيفي المجتمع الجزائري، وكعينة على هذا التشويه فقد نالت منه مقاومة عائلة المقراني بمجانة1871 نصيب الأسد، وذلك بجعل هذه الثورة مثالاً للجشع والطمع في استرداد أموالها التي بذلت في إنقاذ الأهالي الجزائريين، وهذا ما فندته الحقائق والممارسات التاريخية لشخصية محمد المقراني الذي أبى إلا التمسك بالقيم

المجلة المغاربية للمخطوطات

والمبادئ الإسلامية في بني وطنه وملته ومدافعة الظلم والطغيان عنهم، ومواجهة المحن لأجلهم حتى إعلانه الثورة والجهاد ضد الحكومة الفرنسية، التي تنكرت له ولباقي الجزائريين الذين كانوا يداً لها في ولوج الجزائر والسيطرة عليها.

المجلة المغاربية للمخطوطات

الهوامش:

1-تقع جبال المعاضيد الى شمال منطقة المسيلة والجنوب الشرقي لولاية برج بوعريريج، وبها أسس حماد بن بلكين الصنهاجي الدولة الحمادية وبنى بها قلعة بني حماد، التي لازالت آثارها ومعالمها الأثرية شاهدة على المستوى الحضاري الذي وصلت إليه دولة بني حماد؛ ينظر، عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد(صفحة رائعة من التاريخ الجزائري)**، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2002، ص.48

2-بسام العسلي: **محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية**، ط3، دار النفائس، لبنان، 1990، ص.119

3-العياشي روابحي: عائلة المقراني والأمير عبد القادر 1832-1847، **مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والإجتماعية**، ع30، جوان 2012، ص.82

4-عبد القادر صحراوي: مقاومة المقراني والحداد من خلال كتابات لويس رين louis rinn على ضوء المجلة الإفريقية، **مجلة الحوار المتوسطي**، ع11-12، مارس 2016، ص272.

5-العياشي روابحي: **المرجع السابق**، ص.82

6-صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، ط2، دار هومه، الجزائر، 2007، ص.86

7-العياشي روابحي: **المرجع السابق**، ص.83

8-صالح عباد: **المرجع السابق**، ص.75

9-صالح عباد: **المرجع نفسه**، ص.162

10-صالح بن النبيلي فركوس: **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للإحتلال الفرنسي- المقاومة المسلحة 1830-1962**، دار العلوم، الجزائر، 2012، ص-ص، 237-.238

11-عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997، ص.93

12-يحي بوعزيز: **ثورات القرن التاسع عشر**، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص.239

13- من مواليد 1958 بالمسيلة، درس المرحلة الإبتدائية بالمدرسة المركزية بالمسيلة، ثم انتقل الى ثانوية القيرواني بسطيف، وبعد نجاحه منها في شهادة البكالوريا انتقل الى قسنطينة لمواصلة دراسته الجامعية، وفيها حاز على الشهادات الجامعية الآتية: الليسانس تاريخ سنة 1983، ماجستير نفس التخصص سنة 2006، والدكتوراه علوم تخصص تاريخ سنة 2011، له العديد من المؤلفات حول تاريخ منطقة الحضنة نذكر منها: الإحتلال الفرنسي والمقاومات الشعبية بالمسيلة، الحركة الوطنية بالمسيلة من 1900-1954، أعلاm ومعالم مدينة المسيلة- دراسة في التاريخ الثقافي خلال الفترة الإستعمارية-، الإستعمار الفرنسي والقبيلة بالحضنة- دراسة في التحولات-، أعراش الحضنة

واقتصادها في ظل الإحتلال، ينظر؛ كمال بيرم: **الحركة الوطنية بمنطقة المسيلة**، ط1، دار الأوطان، الجزائر، 2012، الواجهة الأخيرة للكتاب.

14-كمال بيرم: **من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني-الحضنة أنموذجاً-**، ط1، دار الأوطان، الجزائر،2015، ص.91

15-بخصوص تاريخ تعيين أحمد المقراني خليفة على منطقة مجانة، أورد يحي بوعزيز تاريخا آخر لهذا الحدث، إلا أن الفاصل بين التاريخين لا يتجاوز الشهر ونصف الشهر، وهذا ما يؤكد أن مراسيم التعيين كانت في خريف 1838 ينظر، يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص.240

16- صالح بن النبيلي فركوس:**المرجع السابق**، ص.38

17-حنيفي هلايلي: **الظروف التاريخية الممهدة لثورة المقراني والشيخ الحداد ونتائجها على السياسة الإستعمارية**، ع08، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، 2016، ص.14

18-يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص236-.237

19-حنيفي هلايلي: **المرجع السابق**، ص.15

20-صالح بن النبيلي فركوس: **المرجع السابق**، ص.241

21- حنيفي هلايلي: **المرجع السابق**، ص.16

22- يحي بوعزيز: **المرجع السابق**، ص.245

23-سورة البقرة: الآية 90-.91

24- صالح بن النبيلي فركوس: **المرجع السابق**، ص251.

المراجع:

- بسام العسلي: **محمد المقراني وثورة 1871 الجزائرية**، ط3، دار النفائس، لبنان، 1990.
- حنيفي هلايلي: **الظروف التاريخية الممهدة لثورة المقراني والشيخ الحداد ونتائجها على السياسة الإستعمارية**، ع08، مجلة الحوار المتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، 2016.
- صالح بن النبيلي فركوس: **تاريخ جهاد الأمة الجزائرية للإحتلال الفرنسي-المقاومة المسلحة 1830-1962**، دار العلوم، الجزائر، 2012.
- صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، ط2، دار هومه، الجزائر، 2007.
- عبد الحليم عويس: **دولة بني حماد(صفحة رائعة من التاريخ الجزائري)**، مكتبة الإسكندرية، مصر، 2002.
- عبد القادر صحراوي: مقاومة المقراني والحداد من خلال كتابات لويس رين louis rinn على ضوء المجلة الإفريقية، **مجلة الحوار المتوسطي**، ع11-12، مارس 2016.
- عمار بوحوش: **التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962**، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997.
- العياشي روابحي: عائلة المقراني والأمير عبد القادر 1832-1847، **مجلة التواصل في العلوم الإنسانية والإجتماعية**، ع30، جوان 2012.
- كمال بيرم: **الحركة الوطنية بمنطقة المسيلة**، ط1، دار الأوطان، الجزائر، 2012.

المجلة المغاربية للمخطوطات

- كمال بيرم: **من تاريخ حواضر الشرق القسنطيني-الحضنة أنموذجاً-**، ط1، دار الأوطان، الجزائر،2015.
- يحي بوعزيز: **ثورات القرن التاسع عشر**، دار البصائر، الجزائر، 2009.